بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ

الحث على العمل والدعوة لدين الله

إعداد

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد

الحث على العمل والدعوة لدين الله

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٣ هـ

www.alanwor.com

مكتبة أنوار التوحيد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ
أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا
قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ
شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ

الحث على العمل والدعوة لدين الله

إعداد

ناصر الدين بن عبد الرحمن النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ:

«لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ،
وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»

صحيح البخاري (٣٦٤١)

الحث على العمل والدعوة لدين الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢- ١٠٤].

إن المسلم لا يؤدي شكر ما أنعم الله عليه من الهداية، حتى يستَفرغ وُسعه ويبذل جميع طاقته في خدمة هذا الدين الغالي، الذي خلقه الله من أجله، واختاره لحمله، لا بد أن يتقي الله حق تقواه، ويجاهد فيه حق جهاده، ويبذل في سبيله المال والنفس، وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يلزم ذكر ربه على كل حال وفي كل أوان، وأن يكون عبدًا خالصًا له وحده، يسارع في خدمته، وينافس في التقرب إليه، ويبحث عن أحب الأعمال إليه، ولا يخاف فيه لومة لائم، ويتمسك بحبله ولا يتركه، وإن كان أشد عليه من القبض على الجمر، ولا يَهِنُ ولا يضعف ولا يستكين، وإن احتاج وافتقر، أو طُورد واضُّطهد وشُرّد، أو أوذي وسُجن وعُذب.

المسلم الصادق، هو الذي يعرف قدر نعمة الإسلام التي امتن الله بها عليه، ويعلم أن تكاليف العبودية لله باهضة، وأن الأمانة ثقيلة، وأن ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله، ومن كانت راحته في لقاء الله تعالى، فيوم موته يوم سروره وفرحه، وأمنه وعزه وشرفه، فإذا مالت نفسه إلى الراحة ونظرت عينه إلى زهرة الدنيا، صاح بها، هَلُمّي إلى جنة عرضها السموات والأرض.

إن المسلم الصادق، هو من أيقن أنه ما خُلق إلّا لهذا الدين، وأن نعمة الإسلام لا تعادلها نعمة ولا توزن بعرض من الدنيا فانٍ، وأن سلعة الله غالية ثمنها النفس والمال، فهو يجاهد بنفسه وماله، ويستفرغ طاقته في خدمة هذا الدين، وإعلاء كلمته، حتى يكون الدين كله لله أو يهلك دونه، ولا يبالي بما أصابه في سبيل دينه ورضا مولاه.

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا   عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي
وَذَاكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ   يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ(١) شِلْوٍ مُمَزَّعِ

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات: ١٥].

المسلم الصادق هو من يستفرغ وسعه في العمل لنشر دين الله، كلّما انسد في وجهه طريق بحث عن آخر، لا يَملّ ولا يكل، ولا يضعف ولا ييأس، وليس بصادق من تقاعس عن نشر الإسلام، وتكاسل في خدمة الدين، وآثر الراحة والنعيم على السهر والتعب، والعمل في سبيل الله ودينه.

قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [التوبة: ٤٢].

دائمًا يعتذر الكاذبون بمعاذير كاذبة؛ ليتخلفوا عن ركب العاملين المشمّرين لإقامة دين الله، كيلا تُوجَّهَ لهم تهم التقاعس والتخلف والجبن، لكن هذا لن يفيدهم شيئًا، بل يفوِّت عليهم الربح العظيم والفوز المبين.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن

(١) الأَوْصَالُ: هي المفاصل أو مُجْتَمَعُ العظام. الشِّلْو: بالكسر العضو من أعضاء اللحم، والجمع أشلاء، وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البِلَى والتفرق. والتَّمْزِيعُ: التفريق، يقال مَزَّعَ اللحم تَمْزِيعًا فتَمَزَّعَ، أي فَرَّقَهُ فَتَفَرَّقَ.

كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الصف: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

إن المؤمن الصادق من يبذل في سبيل الله كل ما استطاع من جهد ووقت، وكل ما يملك من غالٍ ورخيص، ويتحمل الأذى في سبيل الله صابرا محتسبا، لا يَمُنُّ بعمله، ولا يستكثره، ولا يُعجب به، بل لا يراه شيئًا، يرفع يديه يتضرع لمولاه يسأله الرضا والقبول، ويتعوذ به من الطرد والغضب والإبعاد، ويستمد منه العون والتوفيق والهداية والثبات، ويلحُّ في طلب العفو والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار.

لا يغتر بمدح المادحين، ولا يغضب لهجوم الساخرين وذم الحاقدين، ولا يتأثر بتخذيل المثبِّطين، ولا يستوحش من قلة السالكين، ولا يغتر بكثرة المخالفين الهالكين، ماضٍ في طريقه لا ينحرف ولا يتأثر بالمنحرفين.

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»(١).

هذا هو المسلم الصابر الشاكر الصادق، هذا هو ولي الله وأحب أهل الأرض إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

كيف يترك المسلم العمل والدعوة لدين الله وهو يقرأ قولُه تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

هذه طريق الرسول ﷺ، فمن شاء فليتابع، ومن شاء فليرجع، ولكن ليعلم أنه لا نجاة إلّا باتباع هذه السبيل لأنه لا سبيل غيرها.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب (٣٦٤١).

أرسل الله عَزَّوَجَلَّ رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأمره أن يدعو الناس كلهم للدخول في دين الله، وقد بلّغ رسول الله ﷺ الرسالة وأدى الأمانة، كما يريدها الله، وكذلك فعل أصحابه من بعده، واليوم يأتي دورنا لنحمل هذا الدين، وندعو إليه في زمن صار فيه غريبًا طريدًا، بعد أن كان ظاهرًا عزيزًا، وواجبنا أن نعيد ظهوره من جديد، كما أظهره الله من قبلُ على يدي العصبة المؤمنة الصادقة، وأن نكون خير خلف لخير سلف.

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية كلها، ولا يتم تحقيقه في حياة البشر إلّا بجهد من يحمله ويحبه ويدين به ويفديه بماله وروحه، في حدود طاقتهم البشرية وحسب واقعهم الذي يعيشونه، وذلك عندما يستقر في سويداء قلوبهم، ويخالط الإيمان بشاشتها، وتنشرح له صدورهم، فتراهم يتجافون عن الدنيا الفانية، ويتسابقون إلى الدار الآخرة، ويستعدون للموت قبل نزوله، ويستسلمون للدين بكليتهم ويدخلون فيه كافة، ولا ينتقون منه ما يوافق أهواءهم ويذرون ما سواه، لأنهم علموا أن طريق الجنة في مخالفة الهوى واتباع الهدى، وقد اختاروا هذا الطريق، وعقدوا البيعة مع الله، فلا مجال للتردد أو المراوحة أو التوقف، بل لا بد من السير في هذا الطريق، والتمسك بهذا الدين، والاستقامة عليه، وإلّا تفرقت بهم السبل، واستهوتهم الشياطين، وتخطفتهم الشهوات، وفتنتهم الشبهات، وغرتهم الأماني.

وبقدر ما يبذل المسلمون من الجهد، وينفقون من الطاقة، ويصبرون على الابتلاء، ويجتهدون في الطاعة، ويخلصون في النية، يتحقق هذا المنهج الإلهي القويم في واقع الحياة.

والذين يتساءلون لماذا تأخر ظهور الإسلام كل هذا الوقت، عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم ويفتشوا عن العيب، وينظروا ماذا قدموا هم لدين الله؟

الكثير ممن عرفوا التوحيد ودانوا بالإسلام، يبذلون جهودهم وأوقاتهم في عمارة هذه الدنيا الفانية، ويصرفون جل طاقتهم في إصلاح معيشتهم، وإشباع حاجاتهم ونيل رغباتهم، يتنافسون على الدنيا، ويتكاسلون عن طاعة مولاهم، من ابتلي منهم بالضراء وهَن وضَعُف واستكان، ومن وسّع الله عليه رزقه أنفقه في شهواته وملذاته، وبخل به عن سبيل الله، ليس لهم همٌّ إلا أنفسهم ودنياهم،

ولا رغبة صادقة لديهم في إقامة دين الله، آمال طويلة، وقلوب قاسية، ونفوس هالعة، وأوقات ضائعة، من ظفر منهم بدنياه لم يبالِ بما فاته من أخراه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد: ١١].

نسأل الله أن يردنا إلى الحق ردًا جميلًا، وأن يأخذ بنواصينا إلى الخير، وأن يُلزمنا كلمة التقوى ويجعلنا أحق بها وأهلها. اللّهم آمين.

علم الله أن الابتلاء والتجربة الشاقة العسيرة هو الطريق الوحيد لتربية الجماعة المسلمة وإعدادها لحمل هذه الأمانة.

يقول الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ١ -٣].

بالابتلاء يتميز الصف ويُعرف المؤمن الصادق من الكاذب، والإيمان من غير صبر كالجسد بغير رأس.

قال تعالى: ﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥ ﴾ [فصلت: ٣٥].

صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على الابتلاء، وصبر على الشدة، وصبر على الفقر وضيق المعيشة، وصبر عن الانهماك في الدنيا وشهواتها، وصبر على الغربة، وصبر على طول الطريق وقلة الرفيق.

إن العمل الدؤوب لإقامة دين الله، والبذل المستمر لإعلاء كلمة الله، هو الذي يرسخ الإيمان في القلوب، فمن خلال هذا الجهاد وما يصحبه من الابتلاء تزكو النفوس وتطهر القلوب وتتميز الصفوف.

إن الـذي يـسعى جاهـدًا لإقامـة هـذا الـدين هـو الـذي يـدرك جيـدًا أهميـة التمسك بحبـل الله والحرص على طاعته والمسابقة في خدمته؛ لأنه كلما ابتعد عن الله وجد أثر هذا الابتعاد في حياته، وكلما عصى الله وجد معصيته عائقًا في طريقه، وكلما قصّر في تجرده وإخلاصه لله شعر بعدم التوفيق والعون من الله، وكلما اتبع هواه أقعده عن العمل لدين الله، وكلما اهتم بشيء سوى دينه ورضا مولاه شعر بالوحشة والخوف وتعسرت عليه أموره.

وكل هذا لا تعرفه النفوس الراكدة، ولا تشعر به القلوب القاسية، ولا تحس به الأجساد المنعّمة التي تعودت على الراحة والدعة والكسل، لأنهم لم يذوقوا حلاوة الإيمان، ولم ينعموا بلذة القرب من الله.

قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

إن من أشد العوائق التي تواجهه المسلم الصادق في مسيرة بذله وعطائه وجهاده لإقامة دين الله الالتفات لزهرة الدنيا وزخرفها ومتاعها، ولهذا فلا بد من الصبر واليقين بوعد الله حتى نهاية الطريق.

قال الله عَزَّوَجَلَّ لنبيه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣١- ١٣٢].

جاء في الأثر الإلهي: «ابْنَ آدَمَ خَلَقْتُكَ لِعِبَادَتِي فَلَا تَلْعَبْ، وَتَكَفَّلْتُ بِرِزْقِكَ فَلَا تَتْعَبْ، اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتُّكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»[1].

---

(١) قد صرح ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى أن هذا الحديث من الإسرائيليات [مجموع الفتاوى: ٨/٥٢]. وكذا ذكره ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجواب الكافي: ص ١٩٨، وذكره ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: ٧/٣٩٧. =

مِـنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَـيَّعْتَهُ عِـوَضُ وَمَـا مِـنَ اللَّهِ إِنْ ضَـيَّعْتَهُ عِـوَضُ

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: « دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ(١) لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ(٢) حَشْوُهَا لِيفٌ(٣) فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ........إِلَى قَوْلِهِ: فَرَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِهِ فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ فِي بَيْتِهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ(٤) ثَلَاثَةٍ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَوَ فِي هَذَا

= وهذا الحديث رغم شهرته ليس له أصل في كتب السنة النبوية فلم يذكره أحد من الذين صنفوا الفهارس الحديثية، وكذلك فإن الحديث لا يوجد في الكتب التي اعتنت بالأحاديث القدسية.

وخلاصة الأمر: أن هذا الحديث ليس له أصل في كتب السنة النبوية، ويترتب على ذلك أنه لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ كحديث قدسي، بل هو من الإسرائيليات، ومن المعلوم أنه يجوز التحديث به للعظة والاعتبار، مع بيان أنه ليس من حديث النبي ﷺ في شيء، روى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ». قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ في عمدة القاري شرح صحيح البخاري: [المراد جواز التحديث عنهم بما كان من أمر حسن، وأما ما عُلم كذبه فلا] ا.هـ.

(١) قوله: عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، يقال: رَمَلْتُ الحَصِيرَ: نسجته، وحصير مَرْمُولٌ: منسوج، والرَمْلُ: هو النسج، والرَامِلَةُ: الناسجة.

(٢) الْأَدَمُ: الجلد المدبوغ.

(٣) اللِّيفُ: هو ما يستخرج من النخيل ويصنع منه الحبال.

(٤) قوله: غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلَاثَة، هو جمع إِهَابٍ، وهو الجلد غير المدبوغ، ويجمع أُهُبَةً وأَهَبَةً.

أَنْتَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ إِنَّ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ». فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي. الحديث[1].

أَرَى أُنَاسًا بِأَدْنَى الدِّينِ قَدْ قَنِعُوا ... وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالدُّونِ
فَاسْتَغْنِ بِالدِّينِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا ... اسْتَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ

إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرّف أنت إلى الله وتودد إليه، تنل بذلك غاية العز والرفعة.

دع الدنيا لأهلها كما تركوا هم الآخرة لأهلها، وكن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

قَالَ الشَّعْبِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ خَلْفَ الْمُسْلِمِينَ يُجْهِزْنَ عَلَى جَرْحَى الْمُشْرِكِينَ، فَلَوْ حَلَفْتُ يَوْمَئِذٍ رَجَوْتُ أَنْ أَبَرَّ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَّا يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾. الحديث[2].

﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا﴾ الذين تركوا مكانهم الذي وضعهم فيه رسول الله ﷺ يوم أحد وأمرهم أن لا يغادروه فعصوا أمر رسول الله ﷺ طمعًا في الغنيمة وهي متاع قليل من الدنيا الفانية.

﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ وهم الذين آثروا البقاء في أماكنهم طاعة لرسول الله ﷺ ولم يلتفتوا إلى ما قد يفوتهم من الغنائم فما عند الله خير وأبقى.

هذه الآية تبين لنا أمرًا هامًا جدًا يجب أن يفهمه كل واحد منّا ويجعله نصب عينه: إن التفات المسلمين للدنيا وهم يعملون ويجاهدون في سبيل الله، سوف يؤدي إلى الفشل والتنازع والمعصية.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب (٢٤٦٨). ورواه البغوي في شرح السنة، كتاب الرقاق (٤٠٧٠).

(٢) رواه أحمد في مسنده ٧/٤١٨ (٤٤١٤).

إن الذي يعمل لدين الله لا يبالي ما نقص من دنياه، لأنه لا يريد بعمله هذا شيئًا من عرض الحياة الدنيا، ولكنه يعمل ويجدّ ويجاهد بالنفس والمال، يرجو ثواب الله ويخاف عقابه، ويطمع في مغفرته وسعة عفوه.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥٧].

عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ قَالَ: « كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا من الرُّومِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أو أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الْجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ، فَصَاحَ النَّاسُ وَقَالُوا، سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأنْصاريُّ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فَكَانَتْ التَّهْلُكَةُ الْإِقَامَةَ عَلَى الْأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا وَتَرْكِنَا الْغَزْوَ. فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ شَاخِصًا(١) فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ(٢)»(٣).

[روى ابن جرير عن بن عباس ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، قال: ليس التهلكة أن يُقتل الرجل في سبيل الله ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله](٤) ا.هـ.

(١) شَاخِصًا: أي خارجًا من منزله يغزو في سبيل الله.

(٢) أرض الروم: في القسطنطينية، وقبره قرب سورها.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب تفسير القرآن (٢٩٧٢). وقال عنه هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، دار النشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ج٢/ص٣١٤.

إن الذي يعمل لإقامة دين الله يجب أن يكون سعيه وجده وجهاده خالصًا لله وحده، لا يبتغي من وراء ذلك أي مطلب آخر، بل عليه أن يستعد للبذل والعطاء والجهاد الدائم المتواصل، دون أن يلتفت إلى أي جزاء دنيوي على عمله هذا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا أَجْرَ لَهُ». فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسَ، وَقَالُوا لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، فَقَالَ «لَا أَجْرَ له»، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ الثَّالِثَةَ. فَقَالَ لَهُ «لَا أَجْرَ لَهُ»[(١)].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»[(٢)].

وروى مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ، وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ»[(٣)].

فإذا قارنَ عملَ المسلمِ نيةُ إرادة الحياة الدنيا ضاع الأجر، وإن كان عمله خالصًا لوجه الله، ونال من جراء ذلك شيئًا من الدنيا، نقص من أجره في الآخرة.

لم يَعِدْ الرسول ﷺ الأنصار يوم بايعوه على نصرة الله ورسوله شيئًا من أمور الدنيا، ينالونه جزاء نصرتهم له ولدينه، وإنما وعدهم الجنة. لكي لا ينتظروا على نُصرتهم لرسول الله ﷺ جزاء في

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد (٢٥١٦). ورواه الحاكم في مستدركه، كتاب الجهاد (٢٤٣٦)، وقال عنه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) رواه النسائي في السنن، كتاب الجهاد (٤٣٣٣). جَوَّدَ إسناده الحافظُ في "الفتح" ٢٨/٦، وحسّنه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة (١٥٣).

هذه الحياة الدنيا، بل عليهم الجد والاجتهاد والاستنفار والتشمير، والبذل والعطاء المتواصل، والسمع والطاعة، لا يرجون من وراء ذلك كُلِه إلّا رضا الله والجنة.

ولقد علموا ما ينتظرهم في هذا الطريق - الذي عزموا عليه - من شدة وابتلاء وجهاد وتضحيات وبذل وعطاء، فلم يتأخروا عن بيعته ﷺ.

«وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَبِمَجَنَّةٍ[1] وَبِعُكَاظٍ، وَبِمَنَازِلِهِمْ بِمِنًى يَقُولُ: مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالاَتِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَنْصُرُهُ وَيُؤْوِيهِ، حَتَّى أَنَّ الرَّجُلَ يَرْحَلُ مِنْ مُضَرَ، أَوْ مِنَ الْيَمَنِ، أَوْ زَوْرِ صَمَدٍ، فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ، فَيَقُولُونَ: إِحْذَرْ غُلاَمَ قُرَيْشٍ لَا يَفْتِنُكَ، وَيَمْشِي بَيْنَ رِحَالِهِمْ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ، حَتَّى بَعَثَنَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ مِنْ يَثْرِبَ، فَيَأْتِيهِ الرَّجُلُ فَيُؤْمِنُ بِهِ، فَيُقْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُسْلِمُونَ بِإِسْلاَمِهِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ يَثْرِبَ إِلَّا فِيهَا رَهْطٌ[2] مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُظْهِرُونَ الإِسْلاَمَ، ثُمَّ بَعَثَنَا اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، فَائْتَمَرْنَا، وَاجْتَمَعْنَا سَبْعُونَ رَجُلًا مِنَّا، فَقُلْنَا: حَتَّى مَتَى نَذَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ وَيَخَافُ، فَدَخَلْنَا حَتَّى قَدِمْنَا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ، فَوَاعَدْنَاهُ شِعْبَ الْعَقَبَةِ، فَقَالَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ: يَا بْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَدْرِي مَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الَّذِينَ جَاءُوكَ؟، إِنِي ذُو مَعْرِفَةٍ بِأَهْلِ يَثْرِبَ، فَاجْتَمَعْنَا عِنْدَهُ مِنْ رَجُلٍ وَرَجُلَيْنِ، فَلَمَّا نَظَرَ الْعَبَّاسُ فِي وُجُوهِنَا، قَالَ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُهُمْ، هَؤُلَاءِ أَحْدَاثٌ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلاَمَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذُكُمْ فِيهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ يَثْرِبَ، فَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ».

فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ[3] إِلَّا وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ

---

(١) مَجَنَّةُ: اسم سوق للعرب كان في الجاهلية، وكان ذو المجاز ومَجَنَّةُ وعكاظ أسواقًا في الجاهلية.

(٢) الرَّهْطُ: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، والجمع أَرْهُطٌ وَأَرْهَاطٌ.

(٣) قوله: "لم نضرب أكباد المطي": كناية عن السفر.

كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ[(١)]، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللَّهِ، قَالُوا: يَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ[(٢)]، فَوَاللَّهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ وَلَا نَسْتَقِيلُهَا، فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ[(٣)] وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ»[(٤)].

وقد ذكر أهل السير أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على قبائل العرب، يدعوهم إلى الإيمان بما جاء به، وأن يمنعوه وينصروه، وذلك بعد موت عمه أبي طالب. وعندما عرض نفسه على بني عامر، وافقوا بشرط أن يكون لهم الأمر من بعده، فلم يقبل رسول الله ﷺ هذا الشرط، مع أنه في أشد الحاجة لمن ينصره ويحميه، حتى يسّر الله له من لا يطلب على حمايته ونصرته إلّا رضا الله عَزَّوَجَلَّ والفوز بالجنة، وهم الأنصار الذين تقدم الحديث عنهم.

هكذا يكون المؤمن الصادق.

قِفوا عند هذا الشرط الذي اشترطه رسول الله ﷺ على المسلمين الذين بايعوه بيعة العقبة الكبرى وتأمّلوا، واعلموا أن الدين لا يقوم إلّا على مثل هؤلاء الذين رضوا بهذه البيعة، وقالوا (لا نقيل ولا نستقيل).

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

[قال شِمْرُ بن عطية: ما من مسلم إلّا ولله عَزَّوَجَلَّ في عنقه بيعة، وفَّى بها أو مات عليها][(٥)] ا.هـ.

---

(١) قوله: "وأن تعضّكم السيوف": أي تنال من أجسادكم، وهو كناية عن القتال.

(٢) أَمِطْ: أي تنَحَّ واذْهَب. وَمَاطَ الأذى مَيْطًا وأَمَاطَه: نَحَّاهُ وَدَفَعَهُ. وأَمِطْ عَنَّا يَدَكَ أَيْ نَحِّها. والمقصود هنا: أَزِلْ عنَا منعك وحيلولتك بيننا وبين البيعة.

(٣) قوله: "بشُرْطة العباس" يعني المواثيق التي أخذها العباس عليهم بالوفاء لرسول الله ﷺ. انظر "سيرة ابن هشام" ٢/٦٣، و"الطبقات الكبرى لابن سعد" ١/٢٢٢، و"دلائل النبوة للبيهقي" ٢/٤٥٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده ٢٢/٣٤٦ (١٤٤٥٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، المؤلف: الحافظ ابن كثير الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ج٤/ص١٩١.

يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [اشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضًا عنها إذا فعلوا ذلك، وهو عوض عظيم لا يدانيه المعَوَّضُ ولا يقاس به.

وروى الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ فَوْقَ كُلِّ بِرٍّ بِرًّا حَتَّى يَبْذِلَ الْعَبْدُ دَمَهُ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَلَا بِرَّ فَوْقَ ذَلِكَ»(١)](٢) ا.هـ.

فما علينا إلّا أن نبذل أموالنا وأنفسنا في سبيل خدمة هذا الدين، ونشرِه والدعوةِ إليه، ونرجو من الله أن يرحمنا برحمته ويجازينا الجنة.

وإنها لبيعة رهيبة، ولكنها في عنق كل مؤمن، لا تسقط عنه إلّا بسقوط إيمانه.

وما دامت النفس إلى موت، والمال إلى فوت، سواء أنفقهما صاحبهما في سبيل الله أم في سبيل سواه، فما الذي يؤخر المسلم الصادق عن هذه البيعة؟!

لا يشك مسلم صادق في وجوب العمل لدين الله ونصرة الله ورسوله، وأن هذا فرضٌ حتمٌ على كل مسلم، وخصوصًا في مثل هذه الأيام، يوم ترك أكثر الناس دين الله عَزَّوَجَلَّ وفارقوه، وتخلّوا عن نصرة الله ورسوله، واتبعوا أهواءهم وأديان ملوكهم.. ومن كان يشك في ذلك، فليقرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١- ٨٢].

---

(١) لم نجده في المصادر المعروفة.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: الإمام أبو عبد الله شمس الدين القرطبي، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، دار النشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ج٨/ص٢٦٧.

[قال الإمام علي و ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلّا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث الله محمدًا وهو حي، ليؤمنَن به ولينصرَنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بُعث محمد وهم أحياء ليؤمنُن به ولينصرُنه][1].

ميثاق غليظ أكيد في عنق كل مسلم، من عهد آدم إلى قيام الساعة، أن ينصر محمدًا ﷺ إذا أدركه، ونصرته اليوم هي نصرة الدين الذي جاء به.

وتأملوا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ فلا يكفي مجرد الإيمان به، بل لا بد من نصرته أيضًا، ومن تولى عن هذا العهد والميثاق فهو من الفاسقين.

يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

ويقول ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَمِـالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[2].

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٢٠].

هذا العتاب ليس قاصرًا على من تخلف من المسلمين في غزوة تبوك، بل إنه يشمل كل من قعد عن نصرة الله ورسوله وإقامة دينه، وآثر الراحة عن العمل في سبيل إعلاء كلمة الله.

وتأمل ما أعد الله عَزَّوَجَلَّ من الفضل العظيم لكل من يعمل لإقامة دين الله.

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾ [التوبة:١٢٠].

ياله من فضل، وياله من جزاء، وياله من خير لمن يريد التقرب إلى الله.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، المؤلف: الحافظ ابن كثير الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ج٢/ص٥٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان (١٤-١٥). ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (٤٤).

على كل عطش في سبيل إقامة دين الله جزاء حسن وثواب عظيم.

وعلى كل تعب ومشقة جزاء، وعلى كل جوع جزاء، وعلى كل موقف يغيظ الكفار جزاء، وعلى كل نيل من العدو جزاء.

وعلى كل نفقة صغيرة أو كبيرة أجر. وعلى كل خطوة يقطعونها في سبيل الله أجر.

أيُّ خير فاته القاعد والمتقاعس عن العمل لإقامة دين الله؟

سَيَعْلَمُ يَوْمَ الْعَرْضِ أَيَّ بِضَاعَةٍ أَضَاعَ وَعِنْدَ الْوَزْنِ مَا كَانَ حَصَّلَا

إننا إن لم نتحرك لإقامة الدين والدعوة في سبيل الله، فإن الله سيبعث من يقيم هذا الدين، وإنه لغني عنّا وعن أعمالنا، ولكن سوف نبوء بالإثم جميعًا، ونخسر الأجر العظيم الذي أعده الله لمن نذروا أنفسهم لنصرة الله ورسوله.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة: ٣٨- ٣٩].

اللّهم يا ولي الإسلام وأهله، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به، وقوي إيماننا حتى نصدع به، ووفقنا وأعنّا على بذل أنفسنا وأموالنا في سبيل نصرته وإعلاء كلمته.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

مكتبة أنوار التوحيد

مكتبة العقيدة – قسم: العمل والدعوة لدين الله

www.alanwor.com

الحث على العمل والدعوة لدين الله

إن هذا الدين منهج إلهي للحياة البشرية كلها، ولا يتم تحقيقه في حياة البشر إلّا بجهد من يحمله ويحبه ويدين به ويفديه بماله وروحه، في حدود طاقتهم البشرية وحسب واقعهم الذي يعيشونه، وذلك عندما يستقر في سويداء قلوبهم، ويخالط الإيمان بشاشتها، وتنشرح له صدورهم، فتراهم يتجافون عن الدنيا الفانية، ويتسابقون إلى الدار الآخرة، ويستعدون للموت قبل نزوله، ويستسلمون للدين بكليتهم ويدخلون فيه كافة، ولا ينتقون منه ما يوافق أهواءهم ويذرون ما سواه، لأنهم علموا أن طريق الجنة في مخالفة الهوى واتباع الهدى، وقد اختاروا هذا الطريق، وعقدوا البيعة مع الله، فلا مجال للتردد أو المراوحة أو التوقف، بل لا بد من السير في هذا الطريق، والتمسك بهذا الدين، والاستقامة عليه، وإلّا تفرقت بهم السبل، واستهوتهم الشياطين، وتخطفتهم الشهوات، وفتنتهم الشبهات، وغرتهم الأماني.

وبقدر ما يبذل المسلمون من الجهد، وينفقون من الطاقة، ويصبرون على الابتلاء، ويجتهدون في الطاعة، ويخلصون في النية، يتحقق هذا المنهج الإلهي القويم في واقع الحياة.

ناصر الدين النعيمي

مكتبة أنوار التوحيد